علو الله على خلقه وانه فوق السموات مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله لا يعلم كيفيته الا هو
فاذا قال السائل كيف استوى على عرشه قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما الاستواء
معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة وكذلك اذا قال كيف ينزل
ربنا قيل له كيف هو فاذا قال انا لا اعلم كيفيته قيل له ونحن لا نعلم كيفية نزوله اذ العلم
بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له فكيف تطالبني بكيفية استوائه
على عرشه وتكلمه ونزوله وانت لا تعلم كيفية ذاته واذا كنت تقر بان له حقيقة ثابتة
في نفس الامر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء فاستواؤه ونزوله وانت لا تعلم كيفية
وكلامه ثابت في نفس الامر ولا يشابهه فيها استواء المخلوقين وكلامهم ونزولهم فان الله تعالى ليس كمثله شيء
لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية
لا تماثل صفات سائر الذوات فان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فاذا كانت الذات لا تشبه ذوات
المخلوقين فصفات الخالق لا تشبه صفات المخلوقين وكثير من الناس يتوهم في كثير من الصفات او اكثرها
او كلها انها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد ان ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في محاذير منها انه مثل ما فهمه من النصوص
بصفات المخلوقين وظن ان مدلول النصوص هو التمثيل ومنها انه ينفي تلك الصفات عن الله
بلا علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب من صفات الكمال ونعوت الجلال فيكون قد عطل ما اثبت
الله ورسوله من الصفات الالهية اللائقة بجلال الله وعظمته ومنها انه يصف الرب بنقيض
تلك الصفات من صفات الجمادات او صفات المعدومات فيكون قد عطل صفات الكمال
التي يستحقها الرب ومثله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من
الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل
فيكون ملحدا في اسمائه واياته مثال ذلك ان النصوص كلها قد دلت على وصف الاله تبارك
وتعالى بالفوقية وعلوه على المخلوقات واستوائه على عرشه وليس في الكتاب والسنة وصف
له بانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله فيظن المتوهم انه اذا وصف الله
بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام كقوله تعالى وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره فيتخيل هذا الجاهل بالله وصفاته انه اذا كان
مستويا على العرش كان محتاجا اليه كاحتياج المستوي على الفلك والانعام تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا

٦

علوا كبيرا بل هو غني عن العرش وعن كل ما سواه مفتقر اليه فكيف يتوهم انه اذا كان مستويا على
العرش كان محتاجا اليه تعالى عن ذلك وتقدس وايضا فقد علم ان الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض
ولم يجعل عاليه مفتقرا الى سافله فالهواء فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض والسحاب
ايضا فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله والسموات فوق الارض وليست مفتقرة الى حمل الارض
لها فالعلي الاعلى رب كل شيء ومليكه اذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب ان يكون محتاجا الى خلقه
او عرشه او كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس يستلزم في المخلوقات
وكذلك قوله ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور وقال النبي صلى الله عليه
وسلم الا تأمنوني وانا امين من في السماء وقوله في رقية المريض ربنا الله الذي في السماء تقدس
اسمك فمن توهم من هذه النصوص ان الله في داخل السموات فهو جاهل ضال باتفاق العلماء
فلو قال القائل العرش في السماء او في الارض لقيل في السماء ولو قيل الجنة في السماء ام في الارض
لقيل في السماء ولم يلزم من ذلك ان يكون العرش داخل السموات بل ولا الجنة فان السماء يراد به
العلو سواء كان فوق الافلاك او تحتها قال تعالى فليمدد بسبب الى السماء وقال وانزلنا
من السماء ماء طهورا ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين ان الله هو العلي الاعلى كان المفهوم
من قوله انه في السماء انه في العلو وانه فوق كل شيء وكذلك الجارية لما قال لها اين الله قالت
في السماء انما ارادت العلو مع عدم تخصيصه بالاجسام المخلوقة وحلوله فيها واذا قيل
العلو فانه يتناول ما فوق المخلوقات كلها فما فوقها كلها هو في السماء ولا يقتضي هذا ان يكون
هناك ظرف وجودي يحيط به اذ ليس فوق العالم الا الله كما لو قيل العرش في السماء كان المراد
انه عليها كما قال تعالى فسيروا في الارض وكما قال فسيحوا في الارض وقال عن فرعون ولاصلبنكم
في جذوع النخل وبالجملة فمن قال ان الله في السماء واراد ان الله في جوف السماء بحيث تحصره وتحيط
به فقد اخطا وضل ضلالا بعيدا وان اراد بذلك ان الله فوق سمواته على عرشه باين من خلقه
فقد اصاب وهذا اعتقاد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وهو الذي نطق به القرآن (لعله: الكتاب)
والسنة واتفق عليه سلف الامة وائمتها ومن لم يعتقد ذلك كان مكذبا للرسول متبعا
غير سبيل المؤمنين بل يكون في الحقيقة معطلا لربه نافيا له ولا يكون له في الحقيقة اله يعبده
ولا رب يسأله ويقصده وهذا قول الجهمية والله تعالى قد فطر العباد عربهم وعجمهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)